رمزية عَلَم الدولة تختلف عن التقديس

الاثنين 2012/7/2 المصدر : الأنباء عدد المشاهدات 3126

بقلم : فيصل الزامل

الرأي الشرعي في موضوع «علم الدولة» ينهى عن التقديس، ومن المؤسف أن يبالغ البعض في هذا الأمر فوق ما يحتمل، وكلنا يعلم أن حمل اللواء هو جزء من التاريخ الاسلامي، ولم يقل أحد من المتقدمين أنه كان يقدس ولا دعا من يؤخذ بعلمه الى تركه لمجرد أن غيرنا يتخذون رايات لتمييز أوطانهم، فهذا اللواء هو علم على الدولة يفيد الدلالة عليها في الوثائق والمستندات مما تقتضيه أحوال الناس، وكانت راية قريش في الجاهلية في بني عبد الدار فجعلها النبي صلى الله عليه وسلم في يد الصحابي مصعب بن عمير، وهو من بني عبد الدار أيضا ولم يقل أحد بأن ذلك يعني تقديسا لتلك الراية، اقرأ وصف النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة أحداث يوم مؤتة «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبدالله بن رواحة فأصيب» وكانت عينا النبي صلى الله عليه وسلم تذرفان وهو يتحدث، وقال «ثم أخذها سيف من سيوف الله، خالد بن الوليد ففتح الله عليه».

ومن يتابع فسيجد شريطا تسجيليا لمدينة إسبانية لاتزال تحتفل بخروج المسلمين من الاندلس في مهرجان يحمل فيه عشرة من الرجال آخر راية للمسلمين وهي فعلا ضخمة حسبما رأيتها في الشريط، فالرايات والبيارق رفيقة درب للحضارة الاسلامية مثلما هو الحال لبقية الحضارات، كل منها يرفع رايته التي يعرف بها، واذا كنا مطالبين بالتميز فمن الواجب ان تكون لنا راية ترتبط بمظاهر الاعتزاز وليس سوى ذلك مما آلم الناس في الكويت.

ولا أزال أذكر مشهد رئيس وزراء تركيا، رجب طيب اردوغان وهو يشارك في قمة اوربية قبل خمس سنوات حينما وقف الرؤساء على المنصة لأخذ صورة جماعية لهم، وتم تحديد موقف كل رئيس بعلامة على الارض هي صورة علم بلاده، فلما وصل اردوغان الى موقعه المحدد وشاهد صورة علم بلاده على الأرض انحنى ورفعها ثم لصقها على صدره، ألهبت تلك اللفتة العفوية مشاعر الشعب التركي الذي تابع المشهد عبر شاشات التلفزيون، قد يقول البعض حركة بسيطة من اردوغان عملت منها حكاية، نقول لهذا، هل سمعت بما حدث في قمة العشرين بالبرازيل قبل اسبوع؟ عندما وقف الرئيس الصيني فوق علم بلاده فالتصق العلم بحذائه، وبدلا من أن يفعل مثل اردوغان، وضع قدمه الثانية على العلم محاولا التخلص منه، هل تريدنا أن نكون مثل هذه الدولة الشيوعية التي لا تهتم بشخصيتها ولا تكترث بمشاعر شعبها؟ أما نحن فإننا لا نريد ان نكون مثلهم.

نعم، الرايات تستثير حماسة الشعوب كونها ترمز لأوطانهم، ومن يزر متحف فتح القسطنطينية في اسطنبول الذي يجسد أحداث دخول المسلمين اليها فإنه سيشاهد صورة جندي تركي (حسن أوغلو) يقف فوق الأسوار محتضنا الراية التركية بعد أن قطع العدو يديه فاحتضنها بساعديه مثلما فعل الصحابي الجليل جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه في مؤتة، ومن شهد أيام الاحتلال الغاشم للكويت وشاهد راية المحتل ترتفع فوق المباني الرسمية، ثم رآها تسقط، وتخفق مكانها راية الكويت فلن ينسى تلك الدلالة الكبيرة لمعنى العلم ورمزيته التي تفوق قيمة القماش الذي صنع منه، ومن يتجاهل الفرق بين الأمرين فإنه يسقط تلك المعاني الجميلة التي يعتز بها كل مواطن محب لبلاده.